الرومانسية في شعر أحمد زكي أبو شادي وكلجين كيلاني
دراسة موضوعية مقارنة

محمد جعفر أصغري

أستاذ مساعد، كلية الآداب، جامعة ولي العصر(عج)، إيران

الملخّص

جاءت الرومانسية كردّة فعل على الكلاسيكية مُحتجة على ما فيها من أسس رتيبة وجافة كما سعت وراء القضاء على الفوضى المستشرية في المجتمع. فالظروف البئيسة والقاسية المهيمنة على المجتمعين العربي والفارسي آنذاك أدّت بالأدباء والشعراء إلى الرومانسية ابتعاداً عما في عالم الواقع. وانطلاقاً مما ذكر، يهدف هذا البحث إلى مقارنة المنظور الرومانسي بين أحمد زكي أبوشادي المصري ومجدالدين ميرفخرائي الإيراني المشهور بـ "گلچين گيلاني" مُستخرجاً ما في أشعارهما من قواسم مشتركة ووجوه متباينة. يُحاول هذا البحث أيضا تبيين ما في أشعار الشاعرين من سمات رومانسية مُستعينا بمبادئ المدرسة الأمريكية في الأدب المقارن مُعتمداً على المنهج الوصفي التحليلي. أمّا ما اهتدت إليه المقالة من نتائج فيُمكن تلخيصها فيما يلي: تجلت الرومانسية في أشعارالشاعرَين بأكمل مظاهرها وأتمّها.ومن أهم ملامحها المشتركة في أشعارهما : الدعوة إلى الطبيعة والأسى والسوداوية والاغتراب المكاني والزماني والاجتماعي والحب والمرأة والحزن الرومانسي والإقبال على الموت. إلا أنّ الوجوه المتباينة تدل على أنّ النظرة السوداوية أكثر في شعر گلچين گيلاني بالمقارنة بأشعار أبي شادي؛ كما أنّ تبجيل المرأة في شعر الشاعر المصري أعمق بالنسبة لشعر الشاعر الإيراني.

1 - المقدمة

إنّ الرومانسية مدرسة أدبية تعود جذور نشأتها إلى البلاد الأوروبية في القرن الثامن عشر. ولم يكن الأدبان العربي والفارسي بعيدَين عن هذه الظاهرة الأدبية التي كانت حصيلة الأزمات السائدة في شتى المجالات؛ السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية . ويمكننا الإشارة إلى أنّ أزمة الصراع بين طبقات المجتمع والفروق الشاسعة بين البرجوازية والأرستقراطية من أهم بواعث ازدهار النزعة الرومانسية.

" حين ظهرت الطبقة البرجوازية في المجتمعات الغربية في القرن الثامن عشر، وفي المجتمع العربي في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، واجهت هذه الطبقة تسلط الطبقة الأرستقراطية التي كانت تتمسك بالامتيازات الخاصة بها. والتي كان الكاتب الكلاسيكي يرى بها النموذج الجيد الذي يحتذى ويدافع عنه ويشيد به. من هذا المنطلق، برزت نقمة الرومانسيين على المجتمع ولم تكن هذه النقمة سلبية؛ إذ أراد الشعراء السعادة لأبناء الجنس البشري "[1]. ولذلك كان الأدب الرومانسي أدباً ثوريّاً على واقع المجتمع الذي يعاني من الاضطهاد والفساد.

" وأما الرومانسية كمذهب أدبي فهي تتميز بسمات خاصة وتقوم على أسس فلسفية ونقدية بارزة وقد طغت على المذاهب الكلاسيكية بدعوتها الهادفة إلى تحرير العاطفة من سيطرة العقل " .[2]. وهذا يدلّ على الميزة الرئيسة للأدب الرومانسي وهي العاطفة التي فقدها المجتمع الإنساني أمام شظف الحياة.

فالمقالة بصدد دراسة أشعار الشاعريَن أبي شادي المصري وگلچين گيلاني الإيراني من المنظور الرومانسي. أمّا أسباب المقارنة بينهما فتعود إلى عدّة مواضع، منها:

1 - الرغبة في المذهب الرومانسي: إنّ هذين الشاعرين كليهما من روّاد المدرسة الرومانسية في الأدبين العربي والفارسي.

2 - النزوح عن الوطن: قضى الشاعران فترة من حياتهما الأدبية في الغرب الذي كان له حظ وفير في نزعتهما الشعرية. ومن هذا المنطلق، فإنّ انطواء الشاعريَن أو ابتعادهما عن الوطن من أهم الملامح الرومانسية المشتركة في أشعارهما.

3 – الظروف السياسية والاجتماعية المشتركة: كانت البيئة العربية والفارسية في الفترة التي عاش فيها الشاعران أبو شادي وگلچين گيلاني تعج بالفوضى والفساد في شتّى المجالات. ولذلك شعر الشاعران بالغربة والهروب من واقع الحياة.

4 – المشكلات العاطفية: عانى الشاعران من الحرمان العاطفي في سبيل تحقيق غاياتهما المنشودة. وكان لهذا الحرمان أثر عميق في مذهبهما الشعري. إنّ انفصال والدَي أحمد زكي وزواج أبيه من امرأة أخرى، ثمّ زواج فتاة أحلامه من رجل آخر من أهم آلامه العاطفية. وأما گلجين گيلاني فلم يقدر أن يتزوّج ممن تعلّق بها وهذا الحرمان لازمه طيلة حياته.

5 – إقبالهما على مهنة الطب: علاوة على إنشاد الشعر، احترف الشاعران مهنة الطب بعد أن تلقّيا علومه في أوروبا. ولا شكّ أنّ لدراسات الشاعرين العلمية والطبية دوراً بارزاً في توظيف المعاني المبتكرة؛ لذلك امتاز شعرهما بالنضارة.

ما ذُكر من الأسباب، قد حثّ كاتب المقالة على التركيز على أشعارهما بصورة أعمق للوصول إلى الأغراض الرئيسة في المقالة، وهي:

1 – تعرّف الوجوه المشتركة بينهما من المنظور الأدبي والفكري.

2 – الكشف عن مدى رؤاهما الرومانسية لتبيين معان جديدة في أشعارهما. أما المنهج المتّبع العام في هذا المقال فهو وصفي– تحليلي تُتّبع به الملامح الرومانسية عبر تحليل الأشعار، إلا أنّ المنهج الخاص فهو مقارِن يعتمد آراء المقارنين الأمريكيين الذين يعتقدون بأنّ "جوهر الدراسة المقارنة للآداب يكمن في تقريبنا من فهم البنى الداخلية. أي الجمالية للأعمال الأدبية، لافي حصر ما تنطوي عليه تلك الأعمال من مؤثرات أجنبية وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير" [3].

2 - الأسئلة التي تتمحور حولها هذه الدراسة هي:

2-1- ما أشهر الملامح والمضامين الرومانسية في أشعار أبي شادي وگلجين گيلاني؟

2-2- ما القواسم المشتركة ووجوه التباين في شعر الشاعرَين من المنظور الرومانسي؟

3 - الدراسات السابقة

قبل الدخول في صميم البحث عن الموضوع، لابدّ لنا من إشارة موجزة إلى البحوث التي عالجت حياة الشاعرين أبي شادي وگلچين گيلاني الشخصية والأدبية؛ منها: كتاب "مختارات من الشعر الفارسي الحديث" (2003م). لمحمد نور الدين عبد المنعم. وفيه يشير الكاتب إلى الشعراء الإيرانيين، ومنهم: گلچين گيلاني وشعره المعنون بالمطر. والآخر كتاب "أعلام الشعر العربي الحديث (أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي، بشارة الخوري)" (1970م). وفيه يتحدث عبد العزيز الدسوقي عن حياة أبي شادي الشخصية والعلمية والأدبية مع الإتيان بنماذجه الشعرية. وفي مايلي نشير إلى أهم الدراسات المنجزة التي لها علاقة وطيدة بما يُراد في هذا البحث:

3 -1- مقالة مُعنونة بـ "بررسی تطبيقی جلوه های رمانتيك در شعر گلچين گيلاني وعبدالمعطي حجازي: الملامح الرومانسية في شعر گلچين گيلاني وعبدالمعطي حجازي (دراسة مقارنة) (1396هـ.ش)" لمجيد محمدي وروژين نادري. مجلة كاوش نامه ادبيات تطبيقي: قامت هذه الدراسة بتحليل القواسم المشتركة وتوصلت إلى أنَّ الميل إلى المودّة، العاطفة العميقة مع الحزن الرومانسي، الحنين إلى الوطن، الرجوع إلى الطفولة والاشتياق إلى لقاء المحبوب ـ من أبرز السمات الرومانسية في أشعارهما. وكما يبدو ممّا نوقش في تلك المقالة، تتشابه بعض ما جاء فيها مع ما يُدرس في هذه المقالة إلا أنّ الدراستين تتفاوتان فيما دَرَستا مِن مقاطع شعرية.

3 -2- رسالة الماجستير المعنونة بـ"بررسی اصول ورويكردهای مكتب رمانتيسم در اشعار گلچين گيلاني ومشفق كاشاني: دراسة عن أصول ونزعات المدرسة الرومانسية في أشعار گلچين گيلاني ومشفق كاشاني" (1390هـ.ش). جامعة أراك الايرانية. من أهم النتائج التي توصلت إليها: أنّ الشاعرين قد تأثرا بأصول المدرسة الرومانسية في أشعارهما تأثراً عميقاً.

3 -3- رسالة ماجستير تحت عنوان "تأثير رومانتيك غرب در أشعار أحمد زكي أبو شادي" (1391هـ.ش). جامعة سمنان. وتوصلت إلى أنّ أبا شادي تأثر بأسس

المدرسة الرومانسية الغربية بحسب تحليل بعض دواوينه الشعرية وهي: أنداء الفجر، مختارات وحي العام، أطياف الربيع، أغاني أبي شادي، فوق العباب، من السماء، من أناشيد الحياة وإيزيس.

3 -4- رسالة ماجستير معنونة بـ "عوامل وزمينه هاى شكل گيرى رمانتيسم در شعر معاصر فارسي وعربي: المؤثرات وظروف نضج الرومانسية في الشعر المعاصر الفارسي والعربي" (1392هـ.ش). بكتابة عماد بحراني بور. جامعة ياسوج الإيرانية: يستنتج أنّ الشعر الرومانسي الفارسي بالمقارنة بمثيله في الأدب العربي حافلٌ بالحزن والذاتية.

3 -5- مقالة تحت عنوان "گهرهاى فراوان بر بام شعر گلچين (بررسى وتحليل عواطف ودرون مايه هاى شعر گلچين گيلاني): الجواهر الوافرة على سقف شعر گلچين؛ دراسة وتحليلٌ للعواطف ومضامين شعر گلچين گيلاني" (1392هـ.ش). لمحمود حسن آبادي وزهرا سجادي. مجلة پُوهشنامه ادب غنايى: هذا المقال يشير إلى أنّ گيلاني يُؤكّد في شعره الحب والحزن والأمل واليأس والوطن والموت وسرّ الحياة.

3 -6- مقالة مُعنونة بـ " باران در دو نگاه با دو كاركرد؛ تحليل وبررسى شعر باران گلچين گيلاني با أنشودة المطر بدر شاكر السياب: المطر من منظارين؛ دراسة ونقد في قصيدة "باران: المطر" لگلجين گيلاني وأنشودة المطر للسياب" (1395هـ.ش). لأحمد غني بور، مرتضى محسني وأصغر خنشه چين. مؤتمر اللغة والأدب الدولي. تعبر النتائج عن الاغتراب الزماني الذي يلجأ إليه الشاعران.

أنجزت دراسات مختلفة في حقل الاتجاه الرومانسي في الأدبين العربي والفارسي إلا أنه لا توجد دراسة مستقلة تقوم بمقارنة الملامح الرومانسية بين أشعار أبي شادي المصري وگلچين گيلاني الإيراني. ولذلك لا نعدو الصواب إذا قلنا إنّ هذه الدراسة جديدة من هذا الجانب. وجدير بالذكر أنّ لأبي شادي عدة دواوين شعرية، وهو شاعر ذو اتجاهات أدبية مختلفة؛ لذلك اختير في دراستنا هذه أحد دواوينه الشعرية المسمّاة بـ"الينبوع"؛ لأنّ نزعة

الشاعر في ديوانه هذا تميل إلى النزعة الرومانسية، كما أنّ هذا الديوان لم يعالج بعد في مجال المذهب الرومانسي بحسب اطلاعنا وأخيراً بعد أن درسنا أشعاره عثرنا على أنّها أكثر تطبيقاً على أشعار گلچين گيلاني. فمن هذا المنطلق، قمنا بمقارنة "الينبوع" مع مجموعة أشعار گلچين گيلاني؛ لأنّه ليس لـ "گلچين" إنتاج غزير من الأشعار؛ ولهذا عالجنا مجموعة أشعاره اليسيرة للوصول إلى موضع الجزم والحتم في المقارنة بين الشاعرين.

4 - الجهاز المفهومي للدراسة

"الرومانسية أو الرومانتية نسبة إلى كلمة رومان التي كانت تعني في العصر الوسيط حكاية المغامرات شعراً ونثراً وتشير إلى المشاهد الريفية بما فيها من الروعة والوحشة التي تذكرنا بالعالم الأسطوريّ والخرافيّ والمواقف الشاعرية؛ فيوصف النص أو الكاتب الذي ينحو هذا المنحى بأنّه رومانتيك"[4]. ثمّ أطلقت هذه التسمية على نهج جيل من الأدباء الذين ظهروا نحو عام 1820م بفرنسا، "الذين جدّدوا الأدب بلون من الكلام الوجداني الغنائي. واتخذت الرومانسية شكلاً حادّاً عنيفاً فأعلنت حرية الفن وجاهرت بالعداء للأدب الكلاسيكي وحمل لواء الحرب الشاعر فكتور هوغو والناقد سنت بيف" [5]. "والرومانسية لم تقتصر على أوروبا فحسب، بل تعدّتها إلى سائر أنحاء المعمورة؛ لأنّها تمثّل الجمال الفكري والروحي والثوري الذي يتّفق مع الأوضاع المأساوية التي كانت سائدة في مناطق مختلفة من العالم في تلك البرهة من الزمن ولاسيّما العالم العربي" [6].

"لقد ظهرت الحركة الرومانسية في الأدب العربي من دون أن تساندها أيّ فلسفة ومن دون أن تفجّرها أي ثورة على مستوى الثورة الفرنسية. فقد كانت تفتقر إلى أساس فكري نابع من محيطها، يشبه الفكر والآراء التي قامت عليها الحركة الرومانسية الأوروبية ولم تستنبط أسساً لها بعد أن أصبحت حركة مستتبة ولها عقيدة شعرية ذات مبادئ محددة كان ينتظر من الشعراء اتباعها" [7].

أسّس الدكتور أحمد زكي أبوشادي مع عديد من الأدباء والشعراء، مثل أحمد شوقي وعلي محمود طه وإبراهيم ناجي وأحمد محرم وغيرهم ذوي الاتجاهات والمذاهب المختلفة جمعية أدبية تسمّى أبولو، وتهدف إلى أغراض هي "ارتقاء حياة الشعر والشاعر

والمسايرة مع النهضات العلمية والأدبية الأخرى، ودعت الجمعية إلى الرومانسية وذلك بالتأثر من الآداب الأوروبية وبالتبعية من خليل مطران وبالعلاقات الأدبية المباشرة وغير المباشرة مع جماعة الديوان "[8].

"وأمّا الرومانسي في الأدب الفارسي فهو ينقسم إلى ثلاثة أدوار: عصر الدستور (من البداية حتى عام 1300هـ.ش). العصر البهلوي (1300هـ.ش إلى 1320هـ.ش). قرنَي العشرين والثلاثين "[9]. "وبحسب الأدوار التي مضت على الشعر الفارسي، يُعد گلجين گيلاني من روّاد المدرسة الرومانسية في الفترة (1320–1332) وهذه الفترة في الشعر الفارسي فترة الصوت الرومانسي. وكان من بين جمع غفير من الشعراء، صوت گلجين گيلاني وفريدون توللّي[10] من أشهر الأصوات الرومانسية في تلك الحقبة "[11].

والشعر يتحدد في المنظور الرومانسي بأنّه "تعبير عن الذات ويتضمّن هذا ضرورة البعد عن الظواهر والغوص إلى ماوراءها، كما يتضمّن اعتبار الشعر تأملاً في العالم واعتبار أن المعاني الشعرية هي خواطر المرء وآراؤه وتجاربه وأحوال نفسه "[12].

أمّا أهم الخصائص التي يؤكدها الشعراء الرومانسيون فهي:

1 – أخذ الشعر الرومانسي يميل إلى الكآبة والسوداوية والأسى والحنين إلى المجهول.

2 – الإحساس بالغربة والاغتراب المكاني والزماني.

3 – اتخذ الشعر الرومانسي سبيل الإصلاح والحرية في الفن وتخصيص الأدب بجعله قومياً.

4 – العودة إلى الطبيعة؛ عندما فشل الشاعر الرومانسي في ثورته على المجتمع الفاسد الذي يعيش فيه، اعتزل المجتمع وعاش في دوامة ذاته ومشكلاته الخاصة؛ فوجد في الطبيعة أو الغاب مكاناً يرتاح إليه ويهدأ فيه ويخفف من ثورته وغضبه خلال وجوده في أحضان الطبيعة [13]. ومن سماته الأخرى:

5 – الحب وهو من المحاور الرئيسة في شعر الرومانسيين: "وليس الحب عند الرومانتيكيين مجرد فضيلة بل هو على رأس الفضائل. وهو وسيلة تطهير النفوس

وصفائها حتّى إذا أحبت البغي وأخلصت في حبّها كفرت بذلك عن ماضيها واستعادت مكانتها بصدقها في عاطفتها " [14].

5 - نبذة عن حياة أحمد زكي أبو شادي

ولد أحمد زكي أبو شادي (1892-1955م) في القاهرة، وتلقّى فيها دروسه الابتدائية والثانوية. وتلقّى الطب في لندن وقد أقام فيها عشر سنوات للتخصص بعلم الجراثيم وتربية النحل، ولما عاد إلى مصر عمل سكرتيراً لجمعية أبولو الفنية [15].

ينتمي أبو شادي إلى أسرة متميزة. ويبدو أنّ والدته كانت شاعرة وقد كان والده من أهل الأدب والفن يجتمع في مجلسه الأدبي الأسبوعي مشاهير الشعراء مثل مطران وحافظ إلى جانب أدباء آخرين. وقد نشأ الفتى على محبة الأدب والشعر [16].

"لعل عصرنا لم يعرف شاعراً كثر إنتاجه الشعري على نحو ما عرف ذلك عند أبي شادي؛ إذ كان الشعر يتدفق على لسانه منذ نشأته تدفقاً. وأتاحت له ثقافته الواسعة بالآداب الغربية أن يطلع على أنواع الشعر هناك من قصصية غنائية وتمثيلية، وعلى مذاهبه من واقعية ورومانسية ورمزية. ومن ثم مضى يتأثر في شعره بكلّ هذه الأنواع والمذاهب، وإن كنا نلاحظ غلبة المذهب الرومانسي عليه " [17].

لأبي شادي عدة دواوين شعرية ومؤلفات قصصية ومسرحية ومؤلفات تاريخية وعلمية واجتماعية. من أهم دواوينه الشعرية: "نداء الفجر"، "وطن الفراعنة"، "أشعة وظلال"، "الينبوع"، "أطياف الربيع"، "الشعلة"، "الشفق الباكي" و"فوق العباب" و"من السماء" [18].

- الحوادث المؤثرة في اتجاه أبي شادي الرومانسي

"الأول: أمّا الحادث الأول فهو انفصال والده عن والدته؛ فقد أثّر هذا الحادث في نفس الشاعر تأثيراً عميقاً وأصابه منذ غضارة الصبا بحزن كثيف وقلق لازمه طويلاً " [19].
الثاني: وقد ترتب على الحادث الأول حادث آخر أفدح وأعمق، فعندما غادرت والدته المنزل حلّت محلّها زوجة أخرى لوالده. وفي هذا الجو الجديد، افتقد الشاعر الهناء

العائلي والحنان فهفت نفسه إلى حنان جديد يعوضه عن أحزان نفسه وظمأ روحه، وقد التمس هذا الحنان عند ربيبة والده وهي فتاة صغيرة قريبة زوجة أبيه فأحبّها الحبّ كله ولكن الأقدار تربَّصت به مرة ثانية فأفقدته حبّه الأول. "الثالث: البيئة الأدبية في إنجلترا: عاش أبو شادي عشر سنوات في إنجلترا. وتلقّى الطب وهذه البيئة العلمية مهّدت مجالاً واسعاً له للنقاش والتأمل "[20].

6 - نبذة عن حياة كلجين كيلاني (مجد الدين ميرفخرائي)

"ولد مجدالدين ميرفخرائي (1290-1351) المشهور بگلجين گيلاني بمدينة رشت عام 1290 هجرية شمسية. تلقّى علومه الأولى في رشت ودرس فرع اللغة الفرنسية وآدابها بدار المعلمين واستمر في فرعه هذا حتى نال اختصاصه. والتقى بالأستاذين الفاضلين حسين علي سلطان زاده ومحمد كنجي، ثم سافر إلى أوروبا لاستمرار دراسته؛ لكن فرع اللغة الفرنسية لم يكن ليروي ظمأه وسرعان ما غيّر فرعه واختار علم الطب "[21].

مجد الدين مير فخرائي قبل أن يكون طبيباً كان شاعراً بارعاً "ولم يكد ينضج شعره حتّى أنشد شعر "المطر" واشتهر بالشاعر الرومانسي بعد إنشاد هذا الشعر. ويشير الدكتور شفيعي كدكني[22] إلى أنَّ "الصوت الرومانسي الخلّاب" يُسمع من أشعار گلچين گيلاني "[23]. و"يختلف شعر گلچين گيلاني عن الشعر التقليدي من ناحية المضمون والشكل. يُعد أسلوبه في النظم أقرب ما يكون إلى شعر "نيما" [24]. كان الشاعر يهتمّ دائماً بوصف الطبيعة متأثّراً بالفترة التي قضاها في گيلان كما كان يراعي تناسب الأركان العروضية والقافية في شعره . . "[25].

يقسم شفيعي كدكنى شعراء الفارسية إلى أقسام، وحين يصل إلى أشعار گلجين گيلاني يقول: " ذرفت دموعي حين قراءة أشعاره. ينتمي گلچين إلى فئة الشعراء الذين تسبب أشعارهم الحزن وتذرف دموع المخاطب "[26]. على أساس ذلك، يمكننا القول إنّ غلبة الحزن والألم في أشعار گلچين گيلاني تعود إلى غلبة النزعة الرومانسية فيها.

تنقسم أعماله الشعرية إلى ثلاث مجموعات: 1- "نهفته: المختبأ" هي أولى مجموعته الشعرية التي تمّ نشرها عام 1948م في لندن. ينشد فيها عن حاجته الباطنية لظهور أنويّته. علاوة على ذلك، يتحدث عن أيام الطفولة والحب الذي كان ملازماً له والعزلة ومصيره 2- "مهر وكين: المحبة والحقد" هي مجموعته الشعرية الثانية التي نشرت في لندن. وانتهج فيها گلچين منهج الفردوسي الشاعر الإيراني في ملحمته "رستم وسهراب". 3- "گلى براى تو: زهرة لك" هي مجموعته الشعرية الثالثة التي تم إنشادها في خارج إيران ثم نشرت عام 1348 للهجرة في طهران [27].

- الحوادث المؤثرة في اتجاه گلچين گيلاني الرومانسي

إنّ الرومانسية أثّرت في حياة گلچين گيلاني الأدبية، وذلك يعود إلى الأسباب المتنوعة، أولاً: السمات أو الميزات الخاصة لبيئة الشاعر أو مسقط رأسه گيلان؛ الغابة والجبل والبحرو السحاب والمطر والطبيعة. وكان لهذه الميزات الإقليمية تأثير مهّم في ذهن الشاعرحيث مهّدت له مجالاً واسعاً لموضوع الطبيعة في شعره. ثانياً: السبب الرئيس الذي أثّر في نزعة گلچين گيلاني الرومانسية هي الهجرة والغربة. ثالثاً: مهّد زواجه الذي باء بالفشل، أسباب حزنه العميق في الغربة. رابعاً: أزمة الحرب العالمية الثانية [28].

7 - مقارنة النزعات الرومنتيكية لدى الشاعرين

7-1- الدعوة إلى الطبيعة

إنّ للشاعر الرومانسي صورتين أمام الطبيعة؛ فهو تارة يجدها أفضل ملاذ يلجأ إليها هرباً من عالم الواقع الذي يتبرّم به ولا يرى فيها إلا الجمال والحيوية والسرور. وتارة أُخرى يجد فيها ذاتيته الفردية. وفي هذه الرؤية، تشاركه الطبيعة أحواله الباطنية الساخطة أو الغاضبة مشاركة وجدانية. وهي تحكي عما أصاب الشاعر من الكآبة والأسى واليأس والحزن. "والرومانتيكيون ينشدون السلوان في الطبيعة ويبثونها حزنهم ويناظرون بين مشاعرهم ومناظرها. فقد يضيقون بمناظرها الجميلة؛ لأنّها لا

تعبأ بحزنهم وكأنّها تسخر منهم. وإنما يستجيبون لمناظرها الحزينة؛ لأن لها صلات بخواطرهم ومصائرهم " [29].

7-1-1- الصورة الأولى : الطبيعة هي أفضل ملاذ للشاعر الرومانسي

إنّ گلچين الايراني ينظر إلى الطبيعة نظرة حية ويصوّر الطبيعة لمخاطبه كما يحسها هو لا كما تكون الطبيعة في عالم الواقع؛ لأنّه يرى بينه وبين الطبيعة صلة وطيدة لا تتجزأ. لهذا يمكننا القول إنّ الطبيعة في نظرته ليست ظاهرة خارجية مستقلة عنه بل هي ظاهرة باطنية تعبّر عن الشاعر نفسه. وإذا أمعنا النظر في أشعار گلچين گيلاني نصل إلى هذه العلاقة العميقة بينه وبين بيئته كأنّه لم يجد ملجأ أفضل منها كي يلوذ بها. وهذا الأمر يعود إلى أنّه ترعرع في بيئة خضراء منذ نعومة أظفاره؛ الأمر الذي غذّى حبّه للطبيعة الخلابة، أضف إلى ذلك، أن الفساد المستشري في المجتمع الإنساني يجعله يرى الطبيعة وما فيها أحسن ملاذ للابتعاد عمّا يرى في عالم الواقع من الاضطهاد. يعبرّ گلچين عن مشاعره الصادقة أمام الطبيعة ويمزج بين إحساسه وما يشاهده في الطبيعة فيجد فيها الصفاء الذي يبدّد الروح الكئيبة:

زمستانا!/ تو را من در بهار نازنين ديدم/ كه با بارانِ سيمين/ سبزه ها را آب می دادي/ من وهمبازيان/ در تارهای زرفشان آفتابِ گرم تو/ به روی شاخه های پرشكوفه/ تاب می خورديم/ به زير ماهتابت/ با اميد ديدنِ فردا/ به بستر های كوچك/ روبه روی پنجره/ در خواب می رفتيم/ همه شب/ تو برای ما/ ميان بيشه ها/ بابلبلان آواز می خواندي/ سپيده دم/ كه ژاله در دهان لاله مِی می ريخت/ تو در گلشن زبان غنچه ها را باز می كردی[30].

أيُّها الشتاء!/ رأيتك في الربيع الجميل/ مع المطر الفضي/ تروي النباتات/ أنا والذين يلعبون معي/ تحت الأشعة الذهبية لشمسك الحارة / على الأغصان المليئة بالبراعم/ كنّا نتأرجح على الأرجوحة/ تحت ليلك المُقمِر/ على رجاء رؤية الغد/ في الفُرُش الصغيرة/ أمام النافذة/ كنّا ننام/ لنا/ بين الغابات/ كنت تغرّد مع البلابل في الليل كلّه / في الفجر حيث كان الندى يسكب الخمر في فم زهرة الشقائق / كنت تفتح ألسن البراعم في الحديقة.

هذه الصورة من صور الطبيعة تكشف عن إحساس عميق دون أيّ زيف وتصنع. يرسم گلچين صورة الطبيعة الخضراء في مسقط رأسه ويلجأ إليها مخاطباً فصل الشتاء الذي يكتسي ثيابه الملوّن في الفصول الأخرى. وهذا الفصل من وجهة نظر گلچين گيلاني ليس فصل الظلام والبرودة بل هو ينظر إليه نظرة جديدة موحية رومانسية ويبرهن على أنّ الطبيعة وكلّ ما فيها مصدر الحياة والسلوان والبهجة. وجدير بالذكر "إنّ گلچين گيلاني شاعر گيلاني تأثر ببيئته تأثراً عميقاً؛ حيثُ يدل على أنّه ابن بيئته قبل كلّ شيء وهذا التأثر ميزة رئيسية في أشعاره كلّها. والقارئ عند قراءة أشعار گلجين يحس أنّه يتنزه في غابة گيلان وشاطئه"[31].

أمّا أبو شادي فينظر إلى عناصر الطبيعة كما ينظر إليها گلچين گيلاني مُعتقداً أنّ الحياة تقتصر على الطبيعة التي ليس لها مثيل. الشاعر العربي يرى الينبوع أفضل ملاذ لمن لديه الهوى وأحسن مصدر لمن يرجو إليه؛ لأنّه من وجهة نظر أبي شادي هو الرجاء الدائم للخائبين كما يزخر بالبهجة الخالدة. هكذا نشاهد أنّه يشير في قصيدته إلى القيم الشامخة التي لم يجدها في أيّ مكان آخر سوى الطبيعة بأجمل مظاهرها. ويلقى فيها كلّ ما حرمته الحياة إياها وهي: السلوان والبهجة والجود والوحدة بين عناصرها. لذلك يبيّن لنا أبرز بواعث إقباله على الطبيعة قائلاً: إنّ المجتمع المصري بعيد كلّ البُعد عن تلك المعاني السامية، وذلك يعود إلى أنّه عاش في بيئة عمّت بالأزمات التي أدّت إلى وضع العقبات أمامه لتحول دون تحقق آماله فيها.

بقيت الطبيعة في عين الشاعر العربي وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لايحاءات روحية تحمله على التأمل العميق وتوحي إليه بالمعاني الخالدة والأفكار السامية . ولقد ظلت هذه النظرة إلى الطبيعة سائدة إلى مطلع القرن العشرين. حتى جاء مطران وفتح باب التجديد في شعر الطبيعة في قصيدته "المساء"، وكان أميز ما فيها أنّ مطران ينظر إلى الطبيعة بوصفها كائناً حيّاً لا منظراً خارجياً ميتاً، والإحساس بأنها ملجأ وملاذ؛ ممّا أثر ذلك في أبي شادي وخاصة إذا علمنا أنّه محب للطبيعة منذ صباه ودعا إلى الالتفات إليها فقال: عماد الأدب والشعر خاصة إنما هو الصدق والوفاء للطبيعة لا التصنع والمحاكاة الشائعة ومجافاة الطبيعة[32].

يا جمالَ النُّورِ في الظلِّ الحَبيبِ ... يا جَمَالَ الرُّوحِ في الجسمِ الرطيبِ
هَـذِهِ الدُّنيا لأحلامِ الأديبِ ... هـذِهِ غاياتُ آمالِ الأريبِ!
أيُّهَا الينبوعُ كم ساعٍ إليكَ ... يَدَّعي بُغضاً لما أهوَى لديكَ
كلُّ ما يَرجُوهُ موقوفٌ عليكَ ... فَإذَا الإنعامُ منكَ وإليكَ
أنتَ سِحرٌ غامضٌ للعالَمِ ... أنتَ ينبوعُ الرجاءِ الدائمِ
أنتَ مُوسِيقَى الخُلودِ الباسمِ ... أنتَ ومضٌ للشَّريدِ الهائمِ!
أيُّها الينبوعُ يا رمزَ الأبَدِ ... يا شُعاعَ اللّهِ في طيفِ الجَسَدِ[33]

مما تقدم، بدا أنّ الشاعرين كليهما يؤكدان في أشعارهما أنّ الطبيعة هي الملجأ الوحيد للشاعر الرومانسي. وفي الظروف التي تغمر المجتمع العربي والفارسي الوحدة والكآبة العميقة مازالت الطبيعة لوحة لإيحاءات عميقة وصور رفيعة. ولذلك يطلقان العنان لأحاسيسهما الفردية وأفكارهما من خلال الطبيعة وعناصرها الخلّابة. وهذه هي الطريق الأقوم للشاعر الذي يغلب عليه شعوره الجيّاش. ومن الوجوه المشتركة بين الشاعرَين أمام هذه الطبيعة البهيئة هو "إنعام الطبيعة" مشيرَين إلى أنَّ الطبيعة أصدق صديقة تتقاسم بينها وبين الشاعرَين أتراح الدنيا وأفراحها. ويُنعِم الشاعر الإيراني النظر في الطبيعة التي هي المُنعِم قائلاً إنَّ الطبيعة "تروي النبات مع مطر الفضي، فتغرّد مع البلابل في الليل، فتفتح ألسن البراعم" ليتلذّذ الإنسان تحت الأشعة الذهبية لشمسها الحارة وبين أغصانها المليئة بالبراعم. ويبرهن أبو شادي على تلك الصداقة المتينة مباشرة، وهو يقول إنَّ الإنعام ينبع من الطبيعة رحابة الصدر ويعود إليها. والكلمات التي استعملها أبوشادي "سحر غامض، موسيقى الخلود، رمز الأبد وشعاع اللّه" دالة على أنَّ الطبيعة نِعم الخليل للإنسان في المجتمع الذي لا يُقَدِّر شأنه كما هو. وعلاوة على ذلك؛ هذه الأبيات العربية والفارسية "كلُّ ما يَرجُوهُ موقوفٌ عليكَ"، "أنتَ ينبوعُ الرجاءِ الدائم"، "تحت ليلك المُقمِر/ على رجاء رؤية الغد/ في الفُرُش الصغيرة/ أمام النافذة/ كنّا ننام" تشير إلى أنَّ كلا الشاعرَين يعامل الطبيعة معاملة الإنسان الحيّ الذي أمَّلهما خيراً. والشاعران الإيراني والمصري يعيشان في الأدوار المختلفة لكنّ رؤيتهما الرومانسية تؤدي إلى القواسم الرومانسية المشتركة في دعوتهما إلى

الطبيعة. وكلا الشاعرين يتفق على أنَّ المكان اللائق الذي يجدر بالإنسان أن يلبّي دعوته للابتعاد عن المَدَنية هي الطبيعة التي نعيم الله، عزَّ وجلَّ.

7-1-2- الصورة الثانية : الطبيعة هي مرآة الذاتية الفردية

القرية التي يتحدّث عنها گلچين لها طابع خاص؛ فهي قرية يعمّها السواد ويلفّها الحزن والأسى. تتنهد الريح فيها. فلم يجد الشاعر في قريته سوى الظلام الدال على أحواله الباطنية والأصوات الرهيبة والمفزعة التي تعبّر عن بيئته التي تحيطه. من خلال هذه الرؤية إلى الطبيعة، نجد أنّها تعكس روح الشاعر المتألمة في البيئة المليئة بالكآبة:

" در آسمان نبود به جز پرده ای سیاه/ پنهان ز دیدگان زمین اختران وماه/ باد سیاه ویخ زده ای می کشید آه/ پرزنم بود لرزش زنگوله های تیز "[34].

لم يكن في السماء سوى ستار أسود / تغيب الكواكب والقمر عن أعين الأرض/ كانت ريح سوداء ومثلجة تتنهّد/ كان صوت ارتعاش الأجراس الحادة صاخبا.

فمن هذا المنطلق، هذه النظرة الرومانسية تجاه الطبيعة جديدة. يشير إليها واصف أبو الشباب: "إنّه نمط جديد من النظم الرومانسي الذي يتسم بالعمق الشديد، وبالذاتية الفردية التي تنطلق في ثورتها بهدوء ولكنه عنيف "[35].

يصوّر أبوشادي تجربته الذاتية وما يدور في ذهنه من خلال عناصر الطبيعة كما يصوّرها گلچين گيلاني. والشاعر في قصيدته هذه، يقف أمام الطبيعة الحيّة ويمزج تجربته الذاتية بمظاهرها المختلفة ويخلع على الكائنات أحاسيسه. ففي جوار البحر يقف مروعاً. يبدو الأفق أمام ناظريه كئيباً والشمس تحرق أو تغيب. يصوّر أبو شادي غيبة الشمس والضياء في السماء ضمن الإشارة المباشرة إلى فقدان الأمل والفرح وغلبة الكآبة والحزن في حياته الشخصية والاجتماعية:

يـلـوح الأفــقُ أغـبـر فـي دُخـان وهـذي الشمس تُحـرَقُ إذ تغيبُ
كـأنَّ الـسُّـحـبَ جَـمَّـعَـهـا بَـخُـورٌ بمـجـمـرة لـهـا سِـحـرٌ عـجـيـبٌ!
يضيق الأفـق فـي قـلـبي ونفسي ومـا يُـغـنـي المـنـى الأفـق الفسيحُ
إذا اكـتـأبَ الـوجـودُ فـإنَّ نفسي تـئـنُّ وكـلُّ مـحـمـودٍ قبيحُ[36]

هذه المقاطع تعبّرعن الصلة العميقة بين الطبيعة التي يدعو إليها الشاعران وبين الذاتية الفردية. ليس وصف الطبيعة جديداً في الشعر العربي والفارسي في الأدوار المختلفة، لكن الجديد في الدعوة إلى الطبيعة عند الرومانسيَّين أبي شادي وگلچين گيلاني هو هذا التماهي الشديد بينهما وبين تلك المظاهر التي تحمل ما يزخر به وجدان الإنسان من الانفعالات. هذه المظاهر الكئيبة ترشدنا إلى الصورتين؛ الأولى: روح الشاعرين اليائسين والثانية: روح المجتمع المفعم بالظلام واليأس والقنوط؛ أي: الحياة عند الرومانسيين طافحة بالألم وبعيدة عن الإشراق. ومن أهم التشابهات بين الشاعرَين في هذه الأشعار "تأثير الطبيعة في ذاتية الشاعرالفردية وتأثرها بالطبيعة" كأنَّ الطبيعة مرآة تتجسد ذاتية الشاعر الفردية في النَّعماء والبأساء. هذه المفردات "السماء السوداء، الريح السوداء والمتنهدة، سيطرة الظلام على الأرض وفقدان الكواكب والقمر في شعر گلچين" ترشدنا إلى أنَّ الشاعر الإيراني يعاني من البؤس ويشعر بالألم الذي تكدّر صفو حياته. وهذا التماهي بينه وبين الطبيعة يعبّرعن تأثير أحوال الشاعر في الطبيعة وتأثّرها بها. وكذلك الشاعر المصري يصوّر لنا أحوال الطبيعة التي رأت رأيه: " الأفقُ أغبر في دُخان، الشمس تُحرَقُ إذ تغيبُ، يضيق الأفق في قلبي ونفسي" قائلاً: إنَّ اكتئاب الوجود ينشغل بال الشاعر. انطلاقاً ممّا ذكر، يقوم كلا الشاعرَين بالانطواء على ذاتيتهما من خلال الطبيعة التي تعكس حالاتهما معبّرين عن اتساع الهوة بينهما وبين المجتمع.

7-1-3- الكآبة والأسى والسوداوية

" الذاتية الرومانتيكية لها خصائص تتجلّى على الأخص في عدم الرضا بالحياة وفي القلق أمام العالم وما يعجّ به من أحداث " (37).

" خوابيد نيك بختى در دردهاى ژرف/ دريای شادمانى در اشك هاى برف/ در چشمه ى جوانى من زهر خوشگوار/ مانند سركه در خم تاريك مى گريست/ در خواب هاى مستى من مهر پايدار/ زاييده شد ولى دو سه دم بيشتر نزيست " (38).

نامت السعادة في الآلام العميقة/ بحر الفرح في دموع الثلج/ في ينبوع شبابي، كان السم اللذيذ يبكي كالخل في الباطية المظلمة / في أحلامي السكرة وُلدت المحبة الخالدة لكنها لم تدم طويلاً.

يبرهن گلچين على آلامه العميقة التي تسبب فقدان الحياة السعيدة مشيراً إلى أنّ هذه المآسي حوّلت بهجته إلى البكاء ولهذا لم تدم البهجة طويلاً. ويومئ إلى أنّ الهم والغم كانا ملازمَين له منذ عهد صباه وهي الفترة التي يواجه أزماته العاطفية في سبيل تحقق طموحاته. ويشير أبوشادي إلى أحواله اليائسة منشداً:

أنشِد رثاءَ الأَماني أيُّها الفَانِي — واندُب مَآلَ الجمالِ الضَّاحكِ الهَانِي
دُنيا حواليهِ يَبنيها ويهدمُها — كالموجِ يَهدمُ ما يبنيهِ في آنِ
اترُك تفاؤلَكَ المعهودَ آونةً — وانظر مَصارعَ أطيافٍ وألوانِ
انظر إلى الحُسنِ في إعجازهِ صُوَراً — لا تَنتَهِي ، وعَجيبٌ كلُّها فانِي!(39)

في هذه القصيدة، ينقل أحمد زكي أبوشادي فكرته إلينا من خلال الألفاظ التي تثير الكآبة والأسى في القارئ، كما يُوضّح إحساسه المرهف أمام الطبيعة. وعلى الرغم من تذوقه لكلّ هذه المعاني، تسري في أنغامه الروح الحزينة. وفي النهاية، يقتل الليل طموحاته وأمانيه. ولا يبقى له شيء سوى شعره الذي يبثّ أحزانه وأشجانه.

يبدو أنّ الشاعرين كليهما يركّزان في أشعارهما على فقدان السعادة والأماني في هذه الدنيا؛ لأنّهما يعانيان من عدم تحقق الأماني والسعادة طوال حياتهما. والخيبة في مجال البلوغ إلى الغايات من أهمّ أسباب ظهور الألم والأسى في أشعارهما. زد على ذلك، الألفاظ التي يستعملها الشاعران في أشعارهما تنمّ عن الملامح المشتركة بينهما. على سبيل المثال: "أنشد رثاء الأماني" تساوى "خوابيد نيك بختى در درد هاى ژرف: نامت السعادة في الآلام العميقة" والبيت "دنيا حواليه يبنيها ويهدمها / كالموج يهدم ما يبنيه في آنِ" تساوى "در خواب هاى مستى من مهر پايدار، زاييده شد ولى دو سه دم بيشتر نزيست: في أحلامي السكرة وُلدت المحبة الخالدة لكنها لم تدم طويلاً". هذه المقاطع المشتركة في العربية والفارسية تدلّ على الحزن واليأس والألم الذي يغلب على أبي شادي وگلچين گيلاني. علاوة على الملامح المشتركة بين الشاعرَين لا نعدو الصواب إذا قلنا إنَّ رؤية أبي شادي إلى الدهر تراوح بين الرؤية المتفائلة والمتشائمة. ويومئ إلى أنَّ الدنيا ليست كلّها مُتَجَهّمة بل فيها الحسن الذي يُسبغُ على الحياة مسحة من المرح والفرح منشداً

" انظر إلى الحُسنِ في إعجازهِ صُوَراً لا تَنتَهي، وعَجيبٌ كلُّها فانِي " أمّا رؤية گلچين إلى الدنيا فأقرب إلى التشاؤم؛ لأنّه يخبر المخاطب عمّا حدث له. كأنّه حصل على أنَّ الحياة بعيدة كل البُعد عن المباهج والمفاتن. ويتصوّر عالَماً ليس فيه لهو لُمجابهة صعوبات الزمن.

يغمر گلچين گيلاني الآلام وهو يشعر بعبثية الحياة وبطلان وجوده في هذه الدنيا؛ لذلك تسري روح التشاؤم في أشعاره هذه. إنّ الألفاظ التي تتألف منها الأبيات (الظلام والغم والأسى والبكاء والجسم المتألم والروح المتعبة) تتصوّر لوحة من روح الشاعرالحزينة التى يستولي عليها الأسى والسوداوية. والطابع الرئيس لهذه الأبيات هو التشاؤم الذي يدل على عزلة الشاعر الروحية ويشعر بأنّه لن تتاح له الحياة الهادئة والسعيدة في هذا العالم:

جز تيرگى نديد وغم ودرد هر كه زيست/ هر ديده اى كه باز شد اين جا بسى گريست/ سودى در اين كشاكش پيوسته نيست! نيست!/ هان اى دل شكسته مزن! بيهده مزن/ بيهوده جان مكن تنِ رنجور! جان مكن!/ هان اى روان خسته برآساى! ايست! ايست [40].

من عاش لم ير إلا الظلام والغمّ والألم/ كل عين فتحت هُنا، بكت بُكاء كثيراً/ ليس في هذا الصراع الدائم أي نفع/ أجل! أيّها القلب الكئيب لا تنبض، لا تنبض دون جدوى/ أيّها الجسم المتألم ! لا تتعب نفسك كثيراً! لا تتعب نفسك كثيراً/ أجل! أيتها الروح المتعبة! استريحي. قفي! قفي!

" فلم يكن الشاعر الرومانسي عادة بالمِرح ولا بالمتفائل وإنّما كان فريسة ألم مرير بسبب الجفوة بينه وبين مجتمع لا يقدر ما فيه من نبل الإحساس ونتيجة انهيار آماله الواسعة وتعذر ظفره بالمثال المنشود " [41]. فلا نبالغ إذا قلنا إنّ عدم تحقق تجربة أبي شادي العاطفية قد أثّرت فيه تأثيراً عميقاً. إنّ نظرته في هذا المقطع إلى الدنيا التي تتسم بهذه السمات " الصراع والنزاع والجنون وعدم الوفاء " نظرة حافلة بالألم والأسى والتشاؤم. في رؤية الشاعر، الدنيا وما فيها " غريبٌ لابسٌ ألف قناع " . ويفيدنا هذا البيت أنّ أبا شادي يعاني من ألم مرير:

إيــه يــا قــلــبــي ! تــأمَّــل ! هــــذه دُنــيــا الــصِّــراعِ
يُــبــدعُ الــفــنَّــانُ لــكِــن هــو كــالــنُّــور المُــشَــاعِ
خــاســرٌ مــهــمــا تــفــانَــى فــي وفــــاءٍ وابــتــداعِ
هــــذه دنــيــا جُــنــونٍ فــي نــــزاعٍ وامــتــنــاعِ
كــلُّ مــا فــيــهــا غــريــبٌ لابــــسٌ ألــــفَ قــنــاعِ
وكــــأنّ الــبــحــرَ لــو فــتــ تَــشــتَ مِــن وهــمِ المَــتــاعِ
وكــــأنَّ الحــســنَ لــم يُــخــ لــق ولــم يــجــذبــه داعِــي ![42]

عند المقارنة بين أشعار الشاعرَين نصل إلى أنّ الأسى والألم والسوداوية في أشعار گلچين گيلاني أعمق. والنموذج الآخر من هذه الرؤية هو:

آه ای آدم! نمی دانی مگر/ نیك بختی هست نیرنگی دگر؟/ این همه رنلم ونگار دلنشین/ این همه آرامش زیبای مهر/ نیست جز بازیچه ی زشت سپهر/ تا تو را بیچاره سازد در زمین [43].

آه أيّها الإنسان! ألاتعلم/ السعادة هي خدعة أُخرى؟/ كلّ هذه الألوان الأنيسة/ كلّ هذا الهدوء الجميل العطوف/ ما هو إلّا لعبة الدهر السيىء/ لكي تذلك في الأرض.

إنّ الظروف القاسية التي جرت على گلچين گيلاني منذه صباه حتى الكهولة حالت دون تحقق أمانيه وطموحاته الشخصية. لذلك بلغت آلامه إلى ذروتها فأثّرت في روح گلچين تأثيراً شديداً حيثُ أدّت إلى ظهور نظرة حافلة بالتشاؤم عنده. النظرة التي تعبّر عن عدم تحقق السعادة للإنسان في هذه الدنيا؛ لأنّ كلّ شيء ولون وجمال فيه خدعة لم تحقق له شيئاً سوى التعاسة والذلة؛ أي أنّه لا يصدّق السعادة الحقيقية في الدنيا بل يراها لعبة.

يبوح أبو شادي بنظرته السوداوية كما يشير إليها گلچين. يعتقد أبو شادي بأنّ هذه الدنيا كمضيافة خادعة. فما فيها لا يسعد الإنسان بل يرهقه:

جئنا إلى الدُّنيا ضُيوفَ خِدَاعِها فـإذا الـضـيـافـةُ كـلُّـهـا إرهـاقُ
ونَـرى بفُندقها الحياةَ تناقُضاً فـي طيِّـهـا الإثـراءُ والإمـلاقُ
تَجـرِي الحـوادثُ بيننا بتناسُقٍ وجـمـيـعُـهـا مـتـنـافـرٌ أفَّـاقُ
نَـدري ومـا نَـدري عـلاقةَ بعضِهَا بالبعض بـل قـد يُـطرق الخـلَّاقُ!
حـتـى كـأنَّـا فـي تَـخـيُّـلِ حـالـمٍ بـالـصـفـوِ والـدَّمُ فـي يَـدَهِ يُـراقُ
دُنـيـا الخـداعِ فـلا حـقـيـقةَ عندها وقـوامُـهـا الأوهـامُ لا الأرزاقُ![44]

من أهم التشابهات في هذه الأشعار اعتقاد الشاعرَين بأنَّ الحياة في الدنيا صِراع وكِفاح وبَلاء. وليس الشاعرانِ راضِيَينِ عن عَيشهما فيها. ويقومان بالشكوى والتذمّر أمام الدنيا الخدّاعة التي لا ترحم أحداً. ويشير أبوشادي إلى السبب الرئيس لهذا الشكوى في أشعاره إشارة موجزة وهو الفرق الشاسع بين الأثرياء والفقراء في المجتمع المصري. ومن وجوه التباين في أشعار الشاعرَين رؤية الشاعرَين المتمايزة: المتناقضة والسوداوية. مما تقدّم، بدا أنَّ أبا شادي يتحدث عن مفاتن الدنيا وآلامها معاً "الضيافة والإرهاق، الإثراء والإملاق، التناسق والتّنافر، ندري وما ندري، الصفو والدّم، الحقيقة والوهم" مشيراً إلى أنّه يعاني من عدم المساواة المهيمن على مجتمعه. وهذا الفقدان جعل رؤيته متناقضة بالنسبة إلى الدنيا التي يقوم بنقضها قائلاً: إنَّ دنيا الخداع لا حقيقة فيها سوى الأوهام وحمله على الاعتزال عن الدنيا. نظر الشاعر الإيراني إلى العالَم بمنظار أسود ورؤية گلچين السوداوية دالة على أنَّه لا يجد مبرّراً لاستمتاع من مفاتن الدنيا وهي "السعادة، الألوان الأنيسة والهدوء الجميل"؛ لأنه يعتقد بأنَّ الدنيا وما فيها من سَّراء وضرّاء تخدع الإنسان مؤكداً أنَّ لجمالها دوراً مهماً في ذلة الإنسان.

7-2- الإحساس بالغربة

7-2-1 الاغتراب المكاني

"يقصد بالاغتراب المكاني ذلك الإحساس الذي يعتري الشاعر ويسعى إلى تصويره عندما ينتقل من مكان إلى مكان متذكراً تلك الأمكنة ويعبّر عن مشاعره الفرحة والحزينة وأحاسيسه عنها بالغربة" [45].

أقام گلچين معظم حياته في لندن. هذه الأشعار تعبّر عن مشاعر گلچين في بُعده عن بيئته گيلان التي غادرها منذ سنين. يتحدث گلچين عن ليلة شتوية في لندن ويحسّ بالغربة العميقة. واحترق قلبه شوقاً للعودة إلى مسقط رأسه گيلان؛ لأنّه يعيش في بيئة كانت يموج فيها الشتاء والبرد والجماد والموت. فينقل إلينا مباشرة أنّه يأمل أن يعيش في وطنه الذي يصفه بالحيوية والجمال والخضرة هرباً من الغربة التي لا يرى فيها شيئاً من الحرارة بل البرودة.

من نمی دانم چرا/ در این شب سرد زمستان/ آرزو دارم که روزی/ سوی آن گلشن که نامش هست گیلان پر بگیرم/ بار دیگر/ آن همه زیبایی جانبخش را در بر بگیرم.[46].

لا أدري لِمَ؟/ في هذا الليل الشتوي البارد/ أتمنّى يوماً/ أن أطير إلى تلك الروضة التي تسمى گيلان/ مرة أُخرى/ أحتضن كلّ هذا الجمال الذي ينعش الأبدان.

أمّا أبوشادي فهو يصرّح بأنّ مصر هي غايات آماله؛ لأنّها بمثابة منزل يوحي إلى الشاعر السرور الذي لايجده في أي مكان آخر:

وأحــنُّ لـلـتـربِ الـذي هـو غايتي وكـأنَّمـا هـو مـنـزلـي البسَّام[47]

يتحدّث الشاعران عن شعورهما بالاغتراب المكاني. يبدو أنّ گلچين گيلاني يفوق في هذا الجانب على مثيله في الأدب العربي. يعترف گلچين على أنّه يحنّ إلى وطنه لكي يرى مشاهده الجميلة والحية مؤكداً لفظ "مرة أُخرى" ليرشدنا إلى أنّه لم يشاهد هذا الجمال والحيوية في الغربة، في حين يُبدي أبوشادي شوقه ورغبته في وطنه بالوضوح والصراحة.

7-2-2- الاغتراب الزماني

"يشعر المرء في هذا النوع من الاغتراب بأنّ الزمان تغيّرت ملامحه ولم يَعُد يعيش في الزمان المثالي الذي ألّفه واعتاد عليه؛ ذلك لأنّ كثيراً من الأعراف والتقاليد قد تغيّرت وطواها النسيان فلمّا كان العهد السابق حافلاً بالخيرات بحسب وجهة نظره يتذكّر ذلك الماضي بشيء من الحسرة والألم" [48].

يادم آرد روز باران/ گردش يك روز ديرين/ خوب وشيرين/ توى جنگل هاى گيلان: كودكى ده ساله بودم/ شاد وخرّم/ نرم ونازك/ چست وچابك[49].

"وتذكرت يوم المطر/ وجولة أحد الأيام الخالية/ التي تتميّز بالجمال والمتعة/ داخل غابات گيلان: كنتُ صبياً في العاشرة/ سعيداً مبتهجاً/ لطيفاً رقيقاً/ ماهراً جَلِداً" (50).

إنّ هذه المقاطع تنقل إلينا أنَّ الشاعر كان يحسّ بالغربة الشديدة بالنسبة إلى الزمن الحاضر الذي يعيش فيه. فهو زمن العنف والقهر. ففي هذه الظروف القاسية، ما يخفض من شدة آلام الشاعر هو الرجوع والحنين إلى الماضي الحافل بالفرح. الأيام التي تموج فيها الرفاهية والهدوء والحلاوة. نشاهد في هذه العبارات تجري فيها أنغام الطفولة. يتذكرگلجين ذكرياته الماضية في قريته گيلان، وهكذا يتحسّر على حياة القرية الخضراء التي لم تفسدها المَدَنيّة. "ولم يكن المستقبل ملاذ كلّ الرومانتيكيين في خيالهم وخاصة المتشائمين منهم بل إن من هؤلاء من كان يلوذ من حاضره بالماضي الذي يحلم به فقد يحسد الفطريين الذين يمثلون الإنسانية الأولى حيث كان الإنسان سعيداً لم تفسده المدنية ويود لو يكون مثلهم" (51).

إنّ قصيدة "حنين الكهولة" لأبي شادي يحمل في طياتها الشوق إلى الزمن الماضي. ويتذكّر أيام الصّبا وذكريات هذه الأيام التي يسيطر عليها العطف والحنان وتسبب الفرح في أبي شادي. فَيتحسّر على أنّ الأيام الماضية مضى عهدها ولايمكن أن تعود مرة أُخرى؛ فيدعو الشاعر لها؛ لأنّها حافلة بالعذوبة وخالية من المصائب الفادحة. ولأيّام الصبا لدى أبي شادي نكهة خاصة لاسيّما حين أثقلت أحزان الحاضر أو أيّام الكهولة كاهله وهذا الحنين إلى الماضي يساعده على الفرار من إحساسه بالغربة في زمن كهولته. يستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الإنكاري ويسأل من نفسه "هل انتهى في عالم خيالي وأحلامي إلى فراري؟" أي لا يمكن أن ينتهي الشاعر الرومانسي فراره إلى الأيام الماضية. فأبوشادي، الرجوع إلى الماضي أو الإحساس بالغربة الزمانية يلازمه دوماً:

رجَّعتُ أنغامي كعهدِ صِباهَا ... وَفرحتُ بالقلب الذي غنَّاهَا
ونظرتُ للدنيا التي أبدعتُها ... في الحُلم أرقبُ عطفَها ورضاهَا
فإذا الصِّبا بين المخابئ مُعرِضٌ ... عنِّي، ولو أني خلقتُ غِنَاهَا
أشتاق أيّام الصِّبا ولو انّه ... يدري المآل لما أطاق لقاها

خادعتُه بهوى الخيال ، وهل أنا إلّا شريدٌ في الخيال تناهى؟!
قد ماتت الأيامُ ، لا رَجعٌ لها كالمومياء فلو أَفاقَ رَثَاها
أسَفي عليها في تَناوحِ لهفة! فكأنها ذكرى تودُّ أباها!
سقياً لأطياف الصِّبا وجمالها حتى تُعيدَ الذكرياتُ شَذَاها![52]

يبدو أنّ كلا الشاعرين يشعر في أشعاره بالاغتراب الزماني غير أنّ كليهما لم يذكر أسباب رجوعه إلى الأيام الماضية مباشرة إلّا أنّ گلچين گيلاني كان أكثر وضوحاً في ذلك وهو يفوق أبا شادي؛ لأنّه يقبل في شعره على حياة الريف ووصف مناظرها الجميلة ثورة على الزمن الحاضر والمدنيّة التي تعجّ بالضجيج والفوضى.

7-2-3- الاغتراب الاجتماعي

"هذا الاغتراب يورث غالباً الشعور بالانفصال وعدم التعلّق بالمجتمع ويعيبه في كثير من الأحيان حالة من عدم إدراك القيم والتقاليد السائدة على المجتمع. زد على ذلك، أنّ هذا اللون من الاغتراب يعمل على إثارة الشعور بالوحدة والانعزال عن الآخرين؛ ممّا يؤدي أحياناً إلى إنكار القيم ورفض المُثُل التي يحترمها ويحتفي بها أبناء المجتمع بكلّ حماس وحميّة" [53].

من چنان بيمارم وپير وزبون/ ناتوان، نوميد، بى كس، بى پناه/ آنچنان سردم كه گويى گاه گاه/ در دلم يخ مى زند درياى خون[54]

أنا مريض وكهول وذليل/ ضعيف، يائس، وحيد، دون مأوى/ بارد بين الحين والآخر/ حيثُ يتجمد في قلبي بحر الدم

إنّ گلچين گيلاني في هذا المقطع يكشف عن انعزاله عن الآخرين مباشرة. الشخص الذي لا يجد لنفسه مكاناً يلجأ إليه ويصوّر مشهداً فيه إنسان مريض تقدّمت به السنُّ وهو لايقدر أن يفعل شيئاً؛ لأنّه صخر ليس له روح يحسّ العطف ومحبّة الآخرين لذلك لا يؤثر فيه شيء.

يتحدث أبو شادي عن عزلته عن الآخرين :

وحدتي! ودَّعتُ أطيافي وقد غاب وَداعي
أنا كالصَّخرِ ولكن ميِّتٌ دونَ نفاعِ
أطفأت أحلامي الأيامُ إطفاء الشُّعاع
لم تَعُد لي ذكرياتٌ لمحبٍّ أو شُجاع
كلُّ ما حولي خَوَاءٌ فهو زادي ومتاعي(55)

في هذا المقطع نلاحظ أنّ أبا شادي يحسّ بالوحدة الشديدة التي يلازمها يأس وألم مرير؛ لأنّه يخاطب "وحدته" لينبّه الآخرين أو مخاطبي أشعاره بأنّه وحيد لايرى صديقاً أو حبيباً يخاطبه سوى الوحدة قائلاً إنّه قد ودّع أطيافه وأحلامه ليشير إلى أنّه منفرد لم يبق له شيء حتى أطيافه التي ودّعها. ويبيّن لنا أنّ الدهر لاينفعه في سبيل البلوغ إلى آماله. والمجتمع الذي يعيش فيه أبو شادي لا ينفعه سوى العزلة، وأخيراً يؤكد أنّ متاعه هو الخواء.

عند مقارنة الاغتراب الاجتماعي بين أشعار الشاعرين نجد أنهما يعانيان من العزلة ويصرّحان بها في أشعارهما. أمّا العزلة والحزن والشكوى في شعر أبي شادي فأكثر وضوحاً وصراحة. الشاعر المصري يبيّن أنّ للدهر دوراً بارزاً في خيبة آماله وهو لا يعيش مع الآخرين بل ينعزل عنهم.

8 - المرأة والحب

إنَّ نظرة گلچين گيلاني إلى المرأة فهي نظرة التبجيل والعُلى. لم نجد في مجموعة أشعاره أشعاراً تنظر إلى البُعد الجسدي للمرأة بل كثيراً ما نشاهد أشعاراً جميلة ترفع شأن المرأة في الثقافة الإيرانية. كما أسلفنا فإنّ گلچين گيلاني تزوّج ثلاث مرات ولم يشعر بالسعادة في الزواج إلّا المرة الأخيرة التي تزوّج من شهين جوري في لندن حتى نهاية حياته. يظهر إحساسه تجاه امرأته شهين في المقطع التالي:

جامی دگر بده به من ای نازنین من!/ ای خواب ژرف مستیِ گل آفرینِ من!/ شاید ز مهربانی ومهرت – **شهین** من–/ بتوان بهارکی به فسون وفسانه ساخت:/ از برف واز امید گلی جاودانه ساخت! (56).

أعطيني كأساً آخر أيتها الرقيقة! / يا صنيعة النوم العميق السكري/ ربّما من رأفتك وحنانك – شهيني-/ أستطيع صنع ربيع من السحر والخيال/ وأصنع من الثلج والأمل وردة خالدة!

ينبّه گلچين في هذا المقطع مخاطبه على أنّ قيمة المرأة ليست بجمالها بل بحنانها الذي يجسّد للشاعر السرور والأمل الخالد. ولهذا إذا ألقينا الأضواء على المعاني المستخدمة في الأبيات بإمكاننا التعبير عن مكانة الحب الرفيعة لدى گلچين:

أمّا هيام أبي شادي بالمرأة فهو يجمع بين حبّه لجمالها الجسدي وبين تبجيله لها كامرأة. كان تبجيله للمرأة في كلّ من شعره ونثره مثالياً يقف عند النقيض من الاهتمام التقليدي السطحي بصفات المرأة الجسدية [57]. وتبجيل أبي شادي للمرأة في أشعاره يعود إلى شغفه بوالدته طيلة حياته. "ومن جميع مآثر الحياة ومعالمها أودّ أن أخصَّ المرأة بتحيتي وتقديري، وإنّي لأذكر كيف عشتُ مشغوفاً في طفولتي وصبايَ وشبابي بوالدتي وقدّستُ المرأة بتأثير حُنُوّ هذه الوالدة عليّ وزاد من عمق هذه القداسة فقداني إياها وفقداني من علقتُ بها وأنا غريب عنهما عشر سنين كاملة تحت رحمة الحرب. فإذا بقي لشعري تعلّقه بالمرأة بل تقديسه إيّاها في شتّى الصور" [58].

أبو شادي في كثير من أشعاره يعلي شأن المرأة العربية مطالباً تطوّرها في شؤون الحياة وهذه النظرة بالنسبة إلى المرأة العربية تجلب الأنظار ولاسيّما في المجتمع العربي الذي ينظر إلى المرأة نظرة دونية لا تليق بها. فهو من الرّواد الذين حطّموا القيود البالية تجاه المرأة العربية. في هذه القصيدة يتحدث عن لطيفة النادي المرأة المصرية التي نالت جائزة الشرف في سباق الطيران الدولي:

أنــتِ زيــنُ الـسـابـقـاتِ فـي الـتَّـسـامي بـالـحـيـاةِ
لم يَعُد لـلأرضِ شـأنٌ في الشعوبِ الخالداتِ
كلُّهَا ثـارت إلـى الـسُّـحـبِ على رغـمِ المماتِ
كُـلُّـهـا دانــت بـديـنِ الـثـأرِ مـن أرض مَـوَاتِ

قد عشقتِ الجـوَّ حتَّى عِفتِ أسبابَ السُّباتِ
وتَـنَفَّسـتِ التَّعـالي مِـن مَعَـالـي الكـائنـاتِ
أنـتِ يا عـنوانَ "مصرَ" في هـوىً للمجدِ آتِ
هكـذا تعتزُّ "مصرٌ" بكِ بين المُحسِنَاتِ[59] .

إنّ الصفات التي استخدمها أبو شادي في قصيدته هذه "الخالدات، المحسنات، التضحيات" تعبّر عن رؤيته العليا تجاه المرأة المصرية التي لم يقتصر دورها في البيت بل تشارك في المجتمع العربي وتنال جائزة الشرف. المرأة التي تكون رمز المجد والعزة لبلدها.

چيستى اى مهر دلبر، چيستى؟/ بى تو چيزى نيست خوش، جز نيستى/ بود نيروى من از دلدار من/ بهتر از او ديده ام هرگز نديد/ بود، آرى، آن گل پاك اميد/ كارِ من، گفتار من، پندار من[60].

ما أنت أيّها الحنان، ما أنت؟/ بدونك لا يوجد شيء طيب، سوى العدم/ كانت طاقتي من حبيبتي/ لم تر عيني أحسن منها أبداً/ كان، نعم، تلك الزهرة الأمل الطاهرة/ فهي عملي، وكلامي، وعقيدتي وظني.

هكذا يبدو لنا لولا الحبّ فلا قيمة لهذه الدنيا. يصرّح گلچين بأنّ قصده من الحبّ هو المرأة التي تسبب الفرح. ولا فائدة في الحياة دون المرأة.

خانه زندان است بى دلدار خوب/ نيست جز يك مشت سنلم وخاك وچوب/ از در وديوار واز ايوان وبام/ دل نگردد شادمان بى دلستان/ گر ز زن گردد تهى جام جهان/ نيست سودى در لبِ بى جانِ جام[61].

البيت دون حبيب طيّب سجن / ليس هو إلا حفنة من الصخر والتراب والخشب/ من باب وجدار وشرفة وسقف/ لا يفرح القلب دون الحبيب/ إن يكن العالم خالياً من المرأة/ لا فائدة في شفاه كأس الميت.

يقترب أبو شادي من نظرة گلچين گيلاني أمام الحب اقتراباً شديداً. فهو يعتقد أنّ الحب هو غاية كلّ شيء مشيراً إلى أنّه لا قيمة للكون دون الحبّ. "وله حييتُ وما أزال أعيش في حُلمي، فلولا الحبُّ مات الكون!"[62].

هذه الأبيات تدلّ على أنّ الشاعرين أبا شادي وگلچين گيلاني ينظران إلى المرأة نظرة سامية تستحقها. وجدير بالذكر أنّ أبا شادي يكرم المرأة في إنتاج وفير من أشعاره، وذلك يرجع إلى مدى تعلّقه بأمّه وحبيبته.

9 - الحزن الرومانسي

"الرومانسية في طليعتها ارتبطت بالنزعة الذاتية الحزينة، التي تستعذب الألم والشقاء؛ لأنّها أوغلت في تأمل الوجود، فأصيبت بالجزع والإحساس الدائم بالرهبة وقد ساعدت في نمو الروح لدى الرومانسيين الظروف المحيطة بهم، مثل المصائب والانكسارات المتوالية والمحن" (63).

يصوّر گلچين گيلاني أحواله الدالة على الحزن الذي سيطر عليه. وله دور بارز في اعتزال الشاعر عن الآخرين وانطوائه على ذاته مبرهناً على أنَّ إقبال الشاعرعلى الكآبة والعزلة من أهم تداعيات حزنه وهمّه. وجدير بالذكر أنَّ المحن التي أصيب بها گلچين في حياته تنمّ عن ظهور حالاته الرومانسية.

"بگذار در سياهى شب اى مه بلند/ بنشينم وبگريم تنها ودردمند!/ رو! دور شو! نگاه نكن! چشم خود ببند! بگذار باز تيره بماند زمين پست/ زيرا كه روشنايى-با آن كه دلكش است-/ در چشم اشكبار ندارد به جز گزند" (64).

دع في ظلام الليل أيّها القمر الرفيع/ أجلس وأبكي وحيداً مؤلماً/ اذهب! ابتعد! لا تنظر! اغمض عينك! دع أن تبقى الأرض وضيعة/ لأنَّ الضياء -رغم أنّه الجذاب/ في العين الباكية ليس فائدة سوى الصدمة.

ويتحدث أبو شادي عن همومه التي تغلب عليه منشداً:

"كَثُرت بلا حَصرٍ هُمومي كثرةً أنستنيَ الدُّنيا وحَقَّ حياتي
وصفحتُ عن لُؤمِ الجُناةِ ولم أزل ألقَى من الأصحابِ لُؤمَ جناة
أصبحتُ أحوجَ ما أكونُ إلى مدًى مِن عُزلةٍ قُدسِيَّةٍ للرّوُحِ
عَلّي وحيداً أستطيعُ شفاءَها ممَّا تُعاني مِن أسىً وجُروحِ" (65)

يؤكد أبوشادي همومه التي لا حصر لها وهو يقول إنّ همومه من الأسباب الرئيسة التي جعلته منعزلاً عن الآخرين، وعلاوة على هذا أنّ همومه تؤثر في أحواله الروحية والظاهرية معاً. ومن أهم تداعياته انطواء الشاعر على نفسه إلى مدى أصبح أحوج ولا يجد أحداً يخفض من جروحه سوى نفسه الوحيد.

على ما يقال نلاحظ أنَّ الحزن يغلب على الشاعر الرومانسي ويعدّ من أهم سماته الشخصية. ولهذا الحزن المشترك بين الرومانسِيين تداعيات فادحة: منها الكآبة، العزلة واليأس تمثّل مذهبهم الرومانسي. ونشأت بينه وبين مضامين أشعارهم صلة عميقة.

10- الإقبال على الموت

"ظلَّ الشعراء في الاتجاه الرومانسي مشدودين إلى الموت كلما مارس الواقع سطوته، وأحسوا بعدم القدرة على التكيف مع الحياة فيأتي الموت مخلّصاً، يدفن فيه الشعراء انتظارهم ويرون أنَّ أفضل شيء هو الهروب من هذا الوجود البائس ما أمكن، فالحياة بالنسبة لهم لم تكن بالضرورة سيئة إنما كانت فحسب بالغة الضيق والخواء بالمقارنة برؤيتهم لوجود أكثر سمواً" (66).

يصف لنا گلچين اشتياقه إلى الموت الذي يسوده الإشراق والجمال تركيزاً على أسباب إقباله عليه، وهي الآلام التي ينتابه معها شعور غامض أليم قائلاً: إنَّ الموت أراح نفسَه من خداع الوجود والأسى والتعاسة والصراع:

"ای زمین بدرود با تو/ ای زمین بدرود با تو/ سوی یك زیبایی نو/ سوی پرتو/ دور از تاریکی شب/ دور از بیماری وتب/ دور از نیرنلم هستي/ رنج وپستی/ تیره روزی/ کشمکش، دیوانگی، بی خانمانی، خانه سوزی" (67).

وداعاً أيَّتها الأرض/ وداعاً أيَّتها الأرض/ نحو الجمال الجديد/ نحو الشعاع/ بعيدا عن ظلام الليل/ بعيداً عن المرض والحمى/ بعيداً عن خداع الوجود والأسى والذلة/ التعاسة/ الصراع والجنون والتشرد واحتراق البيت.

وقام أبوشادي بوصف رؤيته إلى ظاهرة الموت في شعره منشداً:

"أنا مَاضٍ في سبيل الموتِ ، زادي ما شجا وَهمي وحسّي مِن نَغَم
يَملأ الجَوَّ حَنَانٌ غيرُ بادي يَملأ الرُّوحَ بموسيقى العَدَم
ذلك اللَّحنُ أنا أسمعُهُ حينما غيري غريبٌ عنه ساهي
هو يَحدُوني كما أتبعُهُ في شِفاءٍ مِن عذابي المتناهي
كم سَلام ، كم نعيمٍ ، كم حَياه كم غنًى في كلِّ ما يُزجيهِ لَحنُك
أيُّها العازفُ فوقَ السُّحبِ لي طائراً أو راكباً متن السَّحاب
سَئمِت نَفسي فليست تَجتَلي غيرَ ما توحي لأطياف الضَّباب
أنَّةُ النَّايِ كتقبيلِ الشفاه وبكاءُ العُودِ قد وَاسَاهُ فنُّك
أيُّ موتٍ ذاك تَحدُوني إليهِ مثلما يَحدُو هوَى الطفلِ أخاه
هاتفاً حيناً عليّ وعليهِ فإذا الموتُ طريقٌ للنَّجَاة! (68)

يعبّر أبو شادي عن رؤيته المتفائلة إلى الموت الذي رهن اهتمامه. والموت في شعره مصدر الحنان والشفاء وأحسن منجاة نجّاه من مصائب الدنيا مشيراً إلى أنَّ الموت لا يملأ كيانه بالخوف بل الموت في رؤيته غرض يُحدى إليه الشاعر. ويستمد من خياله الرومانسي مؤكداً الموت حُداء يشجّعه على مواصلة الطريق.

من الملامح المشتركة بين الشاعرَين يمكننا الإشارة إلى أنَّ گلچين گيلاني وأبا شادي من الشعراء الرومانسيين الذين يهتمون بالموت في أشعارهما. والظروف القاهرة التي كان يعيشها الشاعران فرضت عليهما الإقبال على الموت ويعتقدان بأنَّه أفضل طريق للهروب من أشدّ الآلام والمعاناة. وكلا الشاعرين يتفقّد في الموت الحياة السعيدة التي تكون بادرة خير لبلوغهما إلى السعادة الحقيقية. وجدير بالذكر أنَّ أبا شادي في أشعاره هذه يفوق مثيله گلچين گيلاني.

النتيجة

أمّا النتائج التي توصلت إليها الدراسة بالنسبة إلى الأسئلة المطروحة فهي:

1 – تجلّى الاتجاه الرومانسي بأكمل مظاهره في أشعار الشاعرين أبي شادي وگلچين گيلاني. وأمّا أهم المضامين الرومانسية في أشعارهما فهي: الدعوة إلى الطبيعة والكآبة والأسى والسوداوية والاغتراب المكاني والزماني والاجتماعي والحبّ والمرأة والحزن الرومانسي والإقبال على الموت. وجميع هذه الملامح مشتركة بين الشاعرين.

2 – إنّ گلچين گيلاني يميل في أشعاره ذات النزعة الرومانسية إلى الذاتية الفردية والكآبة والأسى والسوداوية. وهو حين يقف أمام الطبيعة الحية يصوّر للقارئ مدى امتزاجه بها كأنّه يعدّ الطبيعة صديقة وفيّة حميمة تشاركه مشاركة نفسية أو وجدانية. ولذلك لانبالغ إذا قلنا كأنّه الطبيعة أو كأن الطبيعة هي گلچين گيلاني أو أصبح گلچين جزءا منها. والطبيعة التي يعمّها الظلام في أكثر أشعار گلچين، مرآة تعكس روح الشاعر الحزين ومجتمع فاسد يعبّر عن مدى العلاقة بين ذاتية الشاعر الفردية والطبيعة. أمّا باعث أبي شادي الرئيس في دعوة الآخرين إلى الطبيعة فهو هروب من عالم الواقع؛ لأنّه يرسم الطبيعة في أشعاره أفضل ملاذٍ للإنسان المعاصر ولا يرى أحداً أحسن من الطبيعة ليتحدّث معها ويشكو إليها؛ وذلك يعود إلى اغتراب الشاعر الاجتماعي.

3 – بالنسبة إلى الأسى والسوداوية في أشعارهما نجد أنّ النظرة السوداوية في أشعار گلچين گيلاني أكثر وأشدّ بالمقارنة لأشعار أبي شادي. هذه النظرة تعبّر عن تجارب الشاعر الشخصية وهو عاش في الظروف القاسية التي لا تجدي عليه خيراً. لكنّ نظرة أبي شادي تتغيّر بين النظرة المتفائلة والنظرة المتشائمة وليس بإمكاننا القول إنّه شاعر متشائم بحت أو متفائل. وشاهدنا الاغتراب بأنواعه المختلفة المكاني والزماني والاجتماعي في أشعار الشاعرين. وجدير بالذكر أنّ الاغتراب الزماني يسيطر على أشعار گلچين گيلاني تمرّداً على الزمان الراهن الذي لم يكن له سوى الظلام والسواد والحرب والدمار في الفترة التي عاش فيها.

4 – الحبّ في أشعار الشاعرين ينبع من إحساسهما المرهف وأزماتهما العاطفية. يصوّر الشاعران حبّاً صافياً يغمره حزن عميق بسبب اشتراكهما في سبيل الحرمان

العاطفي وعدم تحقّق آمالهما. كلاهما ينظر إلى المرأة نظرة عميقة تختلف عن نظرة الكلاسيكيين. أمّا تبجيل المرأة في أشعار أبي شادي فأعمق بالنسبة إلى المرأة في أشعار گلچين گيلاني. وذلك يدلّ على مدى تعلّقه بوالدته وفتاة أحلامه.

5 – الحزن من أهم السمات المشتركة بين الشاعرَين الرومانسيَّين. وهذا الحزن يملأ كيانهما ويغلب على أشعارهما معبّراً عن الكآبة، اليأس، الأسى، الألم، التناقض أمام الدنيا. وهذه الأحوال الباطنية والظروف البئيسة ترشدنا إلى إقبال الشاعرَين على الموت الذي يوفّر لهما الهدوء والسلوان اللذين افتقدهما العالَم.

الهوامش والمراجع

(1) أبوالشباب، واصف: **القديم والجديد في الشعر العربي الحديث**، بيروت: دار النهضة العربية، 1998م، ص 202.

(2) سليمى، علي؛ نعمتي، وفاروق: "سيد قطب والملامح الرومانسية في شعره"، **مجلة العلوم الإنسانية الدولية**، العدد 1433، 19، ص18.

(3) عبود، عبده: **الأدب المقارن: مشكلات وآفاق**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 1999م، ص29.

(4) الأصفر، عبد الرزاق: **المذاهب الأدبية لدى الغرب**، دمشق: اتحاد كتاب العرب، 1999م، ص41.

(5) حيدري، محمود؛ وحسين قائمي أصل: "ملامح الرومنسية في شعر ابن الرومي"، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، العدد4، 1395 ص580.

(6) أحمدي، عبدالحميد: "مظاهر رومانسية في شعر أبي القاسم الشابي"، **إضاءات نقدية**، العدد 1390، 4، ص11.

(7) الخضراء الجيوسي، سلمى: **الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث**، ط2، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص 373.

(8) سادات اشكور، سليمان: "الكلاسيكية والتجدد؛ صراعات ومعطيات، دراسات الأدب المعاصر"، **التراث الأدبي**، العدد 18، 1392، ص72.

(9) جعفري، مسعود: **سير رمانتيسم در ايران از مشروطه تا نيما**، چ1، تهران: نشر مركز، 1386، ص 25.

(10) وُلد فريدون توللّي في مدينة شيراز موطن الشعراء الكبار عام1919، وحصل على الثانوية العامة في الفرع الأدبي. ثمّ رحل إلى طهران وحصل على الإجازة في فرع علم الأثرية من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طهران سنة1941 ورجع إلى شيراز مسقط رأسه واشتغل في الأمور الأثرية في وزارة

التربية والتعليم في مدينة شيراز. يعدّ فريدون تولّلي من الرّواد ومن أوائل الأشخاص الذين أفادوا من الشعر الحرّ للتعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم.

(11). شفيعي كدكني، محمد رضا: **أدوار شعر فارسي از مشروطيت تا سقوط سلطنت**، چ5، تهران: انتشارات سخن، 1387، ص57.

(12) العجيمي، محمد الناصر: **النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية**، دار محمد علي الحامي، 1998، ص104.

(13) القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص205.

(14) هلال، محمد غنيمي: **الرومانتيكية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت، ص169.

(15) الفاخوري، حنا: **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، ج2، منشورات ذوي القربى، 1380، ص632.

(16) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، 2007، ص385.

(17) ضيف، شوقي: **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط10، دارالمعارف، 1961، ص 147.

(18) الجامع في تاريخ الأدب العربي 2، ص634.

(19) الدسوقي، عبدالعزيز: **أعلام الشعر العربي الحديث (أحمد شوقي، أحمد زكي أبو شادي، بشارة الخوري)**، ط1، بيروت: منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، 1970، ص144-145.

(20) دهقاني، ليلا: **تأثير رومانتيك غرب در أشعار أحمد زكي أبو شادي**، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة سمنان الإيرانية: 1391، ص65.

(21) خاوري، رؤيا: **بررسى اصول ورويكردهاى مكتب رمانتيسم در اشعار گلچين گيلاني ومشفق كاشاني**، رسالة الماجستير ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة أراك الايرانية: 1390، ص36.

(22) من فحول الأساتذة الإيرانيين في الأدب الفارسي؛ هو شاعر وأديب، له دواوين شعرية مختلفة. من ميزات شعره القوة وجزالة الألفاظ وعذوبة المعاني.

(23) محمدي، مجيد وروژين نادرى: بررسى تطبيقى جلوه هاى رمانتيك در شعر گلچين گيلاني وعبدالمعطي حجازي، **كاوش نامه ادبيات تطبيقى**، شماره 27، 1396، ص138.

(24) ولد علي إسفنديارى المشهور بنيما يوشيج عام 1897م. بقرية "يوش" من قرى مدينة "نور" الواقعة بمحافظة مازندران شماليّ إيران. يُعتبر رائد الشعر الحر الفارسي ومبتكره.

(25) نور الدين عبد المنعم، محمد: **مختارات من الشعر الفارسي الحديث**، ط2، القاهرة: مجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص334.

(26) شفيعي كدكني، محمدرضا: شاعراني كه با آن ها گريسته ام، **بخارا**، شماره5، 1378، ص9.

(27) بررسى اصول ورويكردهاى مكتب رمانتيسم در اشعار گلچين گيلاني ومشفق، ص36.

(28) بحراني بور، عماد: **عوامل وزمينه هاى شكل گيرى رمانتيسم در شعر معاصر فارسي وعربي**، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة ياسوج الإيرانية: 1392، ص82.

(29) الرومنتيكية، 169

(30) ميرفخرائي، مجدالدين: **باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت**، تهران: سخن، 1378، صص245-247.

(31) يوسفي، غلامحسين: **چشمه ى روشن ديدارى با شاعران**، چ12، تهران: انتشارات علمي، 1388، ص534.

(32) خضر حمد، عبدالله: **قضايا الشعر العربي الحديث**، لبنان: دارالقلم، د.ت، ص80-81.

(33) أبو شادي، أحمد زكي: **الينبوع**، د.ت، ص 47.

(34) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص25.

(35) القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، ص236.

(36) الينبوع، ص 34.

(37) الرومانتيكية، ص47.

(38) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص70.

(39) الينبوع، ص38-39.

(40) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص27.

(41) الرومانتيكية، ص 50.

(42) الينبوع، ص46.

(43) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص137.

(44) الينبوع، ص85.

(45) فرهنلم نيا، امير، كبرى روشنفكر وخليل پروينى: "ظاهرة الاغتراب في شعر عزالدين مناصرة"، **مجلة اللغة العربية وآدابها**، العدد3، 2015، ص395.

(46) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص136.

(47) الينبوع، ص73.

(48) دلشاد، جعفر وآخرون: "الغربة في الشعر العربي (الشاعر العراقي المهاجر نموذجاً)". **مجلة العلوم الإنسانية الدولية**، جامعة تربيت مدرس: العدد 15، 2008، ص70.

(49) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص54.

(50) مختارات من الشعر الفارسي الحديث، ص324.

(51) الرومانتيكية، ص73.

(52) الينبوع، ص146.

(53) نعمتي، فاروق. جهانگير أميري، علي سليمي وعبد السلام كريمي: "الاغتراب ومظاهره في شعر سيد قطب" (دراسة وتحليل)، **مجلة الأدب العربي**، جامعة طهران، العدد 1393، 1، صص 231.

(54) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص141.

(55) الينبوع، ص92.

(56) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص238.

(57) الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ص397.

(58) الينبوع، ص18.

(59) الينبوع، ص153.

(60) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص141-140.

(61) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص140.

(62) الينبوع، ص33.

(63) هلال، عبد الناصر: **تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر**، القاهره: مركز الحضارة العربية، 2005، ص26.

(64) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص194

(65) الينبوع، ص152.

(66) تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص26.

(67) باران: منتخب پنج دفتر شعر؛ باران، نهفته، مهر وكين، گلى براى تو وبازگشت، ص47.

(68) الينبوع، 97.